الرسالة

(١ تيموثاوس ١:١٥-١٧)

يا وَلَدي تيموثاوُسَ صادِقةٌ هي الكَلِمَةُ وجديرةٌ بكُلِّ قَبول. أنَّ المسيحَ يسوعَ إنَّما جاءَ إلى العالَمِ ليُخلِّصَ الخطأةَ الذين أوَّلُهم أنا* لكنّي لأجلِ هذا رُحِمتُ ليُظهِرَ يسوعُ المسيحُ فيَّ أنا أوَّلاً كلَّ أناةٍ مِثالاً للذينَ سيؤمنونَ بهِ للحياةِ الأبديّة* فلملكِ الدهورِ الذي لا يعروهُ فسادٌ ولا يُرى اللهُ الحكيمُ وحدَهُ الكرامةُ والمجدُ إلى دهرِ الدهور. آمين.

الإنجيل

(لوقا ١٨: ٣٥-٤٣)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ بالقربِ من أريحا كان أعمى جالسًا على الطريق يستعطي* فلمَّا سمع الجمعَ مجتازًا سأل ما هذا* فأُخبرَ بأنَّ يسوعَ الناصريَّ عابرٌ* فصرخ قائلاً يا يسوعُ ابنَ داودَ ارحمني* فزجرَهُ المتقدِّمون ليسكتَ فازداد صراخًا يا ابنَ داودَ ارحمني* فوقف يسوعُ وأمر أن يُقدَّمَ إليهِ* فلمَّا قرُبَ سألهُ ماذا تُريدُ أنْ أصنعَ لك. فقال يا ربُّ أن أُبصِرَ*

العدد ٢٠٠٣/٤

الأحد ٢٦ كانون الثاني

أبينا البار كسينوفون ورفقته

اللحن السادس

إنجيل السَحَر التاسع

أعمى أريحا

يروي المقطع الإنجيلي الذي يُقرأ على مسامعنا هذا الأحد (لو ١٨: ٣٥-٤٣) قصة رجل أعمى قرب مدينة أريحا «جالسًا على الطريق يستعطي»، شفاه الرب يسوع بناءً على إلحاحه وإيمانه القوي. هذا الأعمى يمثّل كل العميان والفقراء إلى وجه الله، الذين تجسد الرب لأجلهم لكي يخلّصهم، وقصة شفائه هي قصة كل نفس ملتهبة بالإيمان وتائقة إلى الفضيلة.

سمع هذا الأعمى ضجة حوله فسأل «ما هذا»، قيل له «يسوع الناصريَّ عابرٌ». كان قد سمع عنه بالتأكيد ورأت بصيرته ان هذا العابر هو المسيح المنتظر فصرخ «يا يسوعُ ابن داود ارحمني». وتعبير «ابن داود» في الكتاب المقدَّس هو مرادف لكلمة المسيح. لقد كان هذا الأعمى أفضل من كثيرين ممن لهم عيون ويبصرون. لقد رأى في قلبه وآمن أن يسوع هو المسيح المنتظر. طلب الرحمة من الرب، والرحمة لا تُطلب إلا من الله. لقد أيقن في داخله ان العابر هو إله وليس أي إنسان عادي.

«فزَجرَهُ المتقدِّمون ليسكت». هؤلاء المتقدِّمون هم رؤساء الشعب والكهنة وربما التلاميذ أيضًا، الذين يُفترض بهم أن يكونوا قد عرفوا الرب يسوع وأيقنوا أنه المسيا لأنهم رأوا وعاينوا. لكنهم أرادوا إسكات صوت الحق، صوت الإيمان. كانوا عميان رغم أن لهم عيونًا يبصرون بها. هكذا نحن نرى عظمة أعمال الرب وخيراته ولكننا نُسكت صوت قلبنا لأننا احببنا مجد العالم أكثر.أما الأعمى «فازداد صراخًا يا ابنَ داود ارحمني». لم يأبه لما قد يحلّ به. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم «هكذا تكون النفس الملِحة في طلبها».

لقد ترك الرب يسوع الأعمى يصرخ مرارًا لكي يبرهن للآخرين عن عظمة إيمان هذا الأعمى المرذول والمزدرى به، وانه يستحق بجدارة الشفاء. لم يكن الرب بحاجة أن يسأل الأعمى ما إذا كان يؤمن، فصراخه أكبر دليل، بل سأله «ماذا تريد أن أصنع لك؟» الرب يعرف حاجاتنا،«لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» (متى ٦:٨)، لكنه رغم هذا يود أن يسمعنا نعبِّر عن حاجاتنا بفمنا الخاص، «إسألوا تُعطَوا. أُطلبوا تَجدوا. إقْرَعوا يُفتح لكم. لأن كلَّ مَن يسأل يأخُذ، ومَن يطلُب يَجِدُ ومَن يقْرَعُ يُفتَح لهُ» (متى ٧: ٧و٨).

جواب الأعمى كان مباشرًا: «أن أُبصِرَ». فقال له يسوع «أَبْصِرْ». كما خلق الله في القديم بكلمة واحدة: «قال ليكن ... فكان ...» (تك ١)، هكذا الرب يسوع بكلمة واحدة شفى الأعمى. خلقه إنسانًا جديدًا، أعطاه حياةً جديدة مختلفة عما عاشه طوال سنين كثيرة. تكلم الرب يسوع بسلطان إلهي. انه ابن الله، و «كل شيء قد دُفِعَ إليّ من أبي ... تعالَوا إليّ يا جميع المُتعَبين والثّقيلي الأحمال وأنا أُريحُكم» (متى ١١: ٢٧و٢٨). شفاء الأعمى هو شهادة على سلطان يسوع المسياني. انه المسيا المنتظر. عندما أتى رسولا المعمدان إلى يسوع ليسألاه «أنت هو الآتي أمْ ننتظر آخر، فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظُران، العُمْيُ يُبصِرون والعُرْجُ يَمشون والبُرصُ يُطهَّرون والصُّمُّ يَسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبَشَّرون» (متى ١١: ٣-٥).

«قال يسوع للأعمى: أَبْصِرْ، إيمانُك قد خلّصَكَ». وحده الإيمان يستطيع أن يفعل العجائب ويجلب الخلاص. أبصَرَ وتبع المسيح «وهو يمجِّد الله». لم ينسَ الله بعدما نال مبتغاه كما نفعل نحن في كثير من الأحيان.

يضعنا إنجيل اليوم أمام حقيقة أنفسنا. لقد أظلمتنا الخطيئة وفقدنا الحسّ بالنور الإلهي. الشرير يحاول أن يعمي أبصارنا. هل نملك إيمان أعمى أريحا لنخلص؟ إيمانه كان قويًا لدرجة انه كلما حاول الجمعُ إسكاته كان يزداد صراخًا. خطاياي وأهوائي وشهواتي هي كتلك الجموع التي تحاول إطفاء شعلة الإيمان في قلبي. هل أستطيع مقاومة هذه الجموع؟ «أَلقِ على الرَّبِ همَّك فهو يعولُك» (مز ٥٥:٢٢). لقد وعدنا الرب وهو غير كاذب انه لو كان لنا إيمان ولو مثل حبة الخردل «لكُنتُم تقولون لهذا الجبل انتَقِل من هنا إلى هناك فينتَقِل ولا يكون شيء غيرَ مُمكنٍ لديكم» (متى ١٧: ٢٠).

أخيرًا، ترد قصة الأعمى في إنجيلَي الرسول متى (٢٠: ٢٩-٣٤) ولوقا (١٨: ٣٥-٤٣)، وتتزامن في كليهما مع انطلاقة يسوع نحو اورشليم ليتألم ويقوم من بين الأموات. لذا رتّبت الكنيسة أن يُقرأ هذا المقطع الإنجيلي كرابط قبل بدء التهيئة للصوم وبعد عيد الظهور الإلهي. لقد ظهر الثالوث في الأردن ونور المسيح قد ارتسم على الجميع، عميانًا ومبصرين، فطوبى لمن يُغذي نفسه من هذا النور لكي يستحق أن يرى نور القيامة البهي.

الأقمار الثلاثة

«لنكرمنَّ كما يليق آلات النعمة وقيثارات الروح وأبواق الكرازة الحسنة النغمة، والرعود القاصفة من العلاء بالأمور المخوفة والمشتهرة، المذيعة في الأقطار مجد الله، أعني باسيليوس وغريغوريوس مع يوحنا، الثلاثة الكارزين بالثالوث العظيم» (من صلاة الغروب).

تتميّز الفترة الفاصلة بين عيد الظهور الإلهي وبدء الصوم الكبير بأعياد كثير من القديسين المشهورين، مثل القديسين غريغوريوس النيصَصي (١٠ كانون الثاني) وأنطونيوس الكبير (١٧ كانون الثاني) وأثناسيوس وكيرلس بطريركي الإسكندرية (١٨ كانون الثاني) وغريغوريوس النزينزي (٢٥ كانون الثاني) وافرام السرياني (٢٨ كانون الثاني). على ان اشهر الأعياد هو عيد الأقمار الثلاثة القديسين: باسيليوس الكبير (٣٢٩ -٣٧٩) رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك، وغريغوريوس اللاهوتي (٣٢٩-٣٩٠) رئيس أساقفة نازيانز، فقال لهُ يسوعُ أَبْصِرْ. إيمانُك قد خلّصَكَ* وفي الحال أبصَرَ وتبعَهُ وهو يمجِّدُ الله. وجميعُ الشعبِ إذ رأوا سبَّحوا اللهَ.

تأمل

إن إحسانات الله كبيرة جدًا. تفوق كلّ توقّع بشريّ إلى حد أننا في كثير من الأوقات لا نصدّقها. فإنّ ما لم يأتِ على فكر إنسان، ولم ينتظره أحد، هذا ما وهبه الله لنا. يتكلّم الرسل عن هذا باستفاضة من أجل أن نؤمن بالعطايا المقدّمة من الله. فكما يحصل في حال العطايا الكبيرة حين نخال عند حصولها أنها أحلامٌ وخيال، كذلك هي الحال مع عطايا الله.

ما هو الأمر غير المصدَّق؟ هو كون الأعداء والخطأة لم يتبرّروا بالناموس ولا بالأعمال، ومع ذلك أصبحوا بالإيمان فجأة يحظون بالمراتب الأولى. لقد ذُكر الموضوع هذا مطوّلاً في الرسالة إلى أهل رومية. ويذكره الرسول أيضًا عندما يقول: «صادقة هي الكلمة وجديرة بكلّ قبول لأن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة الذين أوّلهم أنا» (١تيمو١:١٥). يؤكّد الرسول بولس هنا على هذه العبارة «صادقة هي الكلمة»، ويقصد بها الإيمان، محاولاً أن يُقنع اليهود بألاّ يعودوا ويثقوا بالناموس كون هذا الأخير

لا يستطيع أن يخلّصهم بدون الإيمان. كان أمرًا لا يُتوقّع أو يُصدَّق عند اليهودي أن يخلص الإنسان بالإيمان بعد أن أمضى حياةً باطلة وقام بأعمال شريرة. لكن البعض لم يكتفوا بعدم التصديق بل أخذوا يتّهمونه كما فعل الوثنيّون قائلين: «لنفعل السيئات لكي تأتي الخيرات» (رو ٣: ٨). هذا لأنهم سمعوا القول: «حيث تكثر الخطيئة تفيض النعمة». يفعلون الشيء نفسه عندما أكلّمهم عن جهنّم فيقولون: كيف يستطيع الله أن يفعل ذلك؟ إن كان الإنسان يغفر لعبد ارتكب الخطيئة، كيف يستطيع الله أن يعاقب أبديًا؟ وعندما نكلّمهم أيضًا عن المعمودية وعن غفران الخطايا يقولون: كيف يستطيع الله أن يغفر خطايا ذاك الذي ارتكب شرورًا عديدة؟ أرأيت كيف يكشف هذا الفكر المنحرف عن استعداد دائم للمعارضة؟

طبعًا إن كان غفران الخطايا سيّئًا يكون الهلاك حسنًا. لكن إنْ لم يكن الهلاك حسنًا فالغفران جيّد وفقًا لكلامهم. أمّا وفقًا لرأينا فالإثنان جيدان.

«صادقة هي الكلمة». كيف نعلم ذلك؟ من الآية التي تسبق هذه العبارة: «في الوقت الذي كنتُ فيه قبلاً مجدِّفًا ومضطهدًا رحمني الله»(١تيمو ١:١٣). هذه العبارة كانت بمثابة تهيئة. لم يرحمه فقط بل

ويوحنا الذهبي الفم (٣٤٥-٤٠٧) وذلك في ٣٠ كانون الثاني.

رغم وجود العديد من الآباء القديسين في الكنيسة الذين كتبوا حول الكنيسة والعقيدة، ورغم استشهاد عدد منهم، إلا أن الكنيسة أطلقت على هؤلاء الثلاثة فقط لقب الأقمار الثلاثة، واعتبرتهم نموذجًا مثاليًا للخدمة الرعائية والتعليمية والدفاعية عن الإيمان. لقد رعوا كنيسة المسيح وعلّموا العقائد وكتبوا عنها دون أن يحيدوا عن الإيمان القويم انما بطريقة سهلة، مستخدمين تعاليم عصرهم وأسلوبه. لذلك فإن الكنيسة تكرّم المواهب الخاصة والرسالة المتنوعة لكلٍ منهم.

لمع القديس باسيليوس الكبير كمدافع عن الضعفاء والمهمشين والفقراء، فنظم العمل الخيري الإجتماعي وبنى المؤسسات التي تعنى بالفقراء والمرضى. وضع القوانين الرهبانية للحياة المشتركة الديرية تجاه النظام النسكي الصارم، وقد شدد على عمل الرحمة والثقافة لدى الرهبان. كما دافع عن ألوهة الإبن والروح القدس دون هوادة.

اما القديس غريغوريوس النزينزي فكان خطيبًا لامعًا وشاعرًا وقد لقبته الكنيسة باللاهوتي. استعمل موهبته الخطابية والكلامية للدفاع عن عقيدة الثالوث، وله في هذا المجال خمس خطب لاهوتية عظيمة شكلت نواة اللاهوت المسيحي لعقيدة الثالوث وهي التي أهلته للقب «اللاهوتي». وقد قال الكاتب المسيحي روفينوس انه «لا حاجة لأي برهان على خطأ أحدهم إذا كان إيمان هذا لا يتفق مع إيمان غريغوريوس».

والقديس يوحنا الذهبي الفم كان سيد الكلمة وراعي النفوس. كان يعرف كيف يهدئ شعبه، وكيف يمتص الغضب الإمبراطوري على الثائرين. كان يعرف كيف يرحم الناس فيأوي الفقراء والمنبوذين، ما كان يعرف كيف يقف ويخذي الإمبراطورة أفذوكيا. حُكم عليه بمؤامرة شريرة ومات من التعب في الطريق إلى المنفى. لكن تعاليمه وعظاته بقيت حية في ضمير الشعب واستحق لقب «الذهبي الفم». قال للإنطاكيين: «لا أريد أن تعلِّقوا الإنجيل في رقابكم، وتحملوه على صدوركم، بل أريد أن تغرسوه في قلوبكم».

بشفاعاتهم اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

مدخل إلى الرسالة إلى تيطس

واجهت كنيسة كريت، كما باقي الكنائس، تأثيراتٍ يهودية أدت إلى تشويش في حياة الجماعة، خاصة في ما يتعلق بالطهارة والنجاسة والخرافات اليهودية (١: ١٤-١٥) وبالناموس وما يتعلق به (٩:٣) وأدى ذلك إلى نشوء جماعة ضمن الكنيسة تبنت هذه الأمور وكوّنت تعليمًا خاصًا بها. يشن كاتب الرسالة حربًا ضد هذه الجماعة ويصف اتباعها بالوحوش الرديئة وبالبطون البطالة وبالكذبة (١٢:١) وبالمتمردين الذين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول (١٠:١). ينطلق فيحث تيطس شريكه في الإيمان (٤:١) على ترتيب الأمور في الكنيسة (٥:١) وعلى نشر التعليم الصحيح (١٥:٢) الذي يؤدي إلى خلاص المؤمنين، وعلى توبيخ المناقضين (٩:١).

+ تعليم الرسالة:

– بالمعمودية وبالروح القدس الذي يسكبه الله علينا بيسوع

المسيح، يلدنا الله من جديد وينقلنا من حياة الغباوة والضلالة والعبودية إلى الحياة معه فنصير ورثة على رجاء الحياة الأبدية (٣:١–٧)، وبنعمته المخلصة لجميع الناس (١١:٢) يعلّمنا «ان نُنكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتَّعقل والبر والتَّقوى في العالم الحاضر» (١٢:٢)، وهذا كلّه بمقتضى رحمته وليس بسبب أعمال نقوم بها نحن (٥:٣). ونعيش في هذا العالم «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح» (١٣:٢).

– هذا ما على المؤمن أن يضعه نصب عينيه في مسيرته مع الله، وعلى الخادم في الكنيسة، وتيطس في هذه الرسالة مثاله، أن يعلّم المؤمنين ويعظهم ويذكرهم بما عليهم القيام به (١٥:٢؛ ١:٣). هذه المهمة منوطة أيضًا بالمسؤول في الكنيسة، أي الأسقف كما ورد في الرسالة، الذي عليه أيضًا «أن يَعِظ بالتعليم الصحيح ويوبّخ المناقضين» (٩:١).

– على المؤمن، وفق هذا التعليم الصحيح، أن يكون متعقلاً، وهي فضيلة على كل مؤمن أن يتحلى بها أكان شيخًا أو عجوزا أو شابًا (٢:١،٥،٦)، وعلى العبيد أن يكونوا أمناء ويخضعوا لسادتهم بهدف تزيين تعليم الله مخلّصنا في كل شيء (٩:٢).

– حياة المؤمن هذه تثمر أعمالاً حسنة، وهي ليست فقط أمرًا نظريًا (١٤:٢؛ ٨:٣)، وتيطس خادم الكنيسة يقدّم نفسه قدوة لهذه الأعمال الحسنة المقترنة بالنقاوة والوقار والإخلاص في التعليم (٧:٢). هذه الأعمال الحسنة ضرورية في حياة المؤمن ومرتبطة بالتعليم الصحيح، وإلاّ كانت حياته «بلا ثمر» (١٤:٣). أمّا الذين يتبعون التعليم الباطل القائم على الربح القبيح (١١:١) فإنهم ينكرون الله بأعمالهم «إذ هم رَجِسون غيرُ طائعين ومن جهة كلّ عمل صالح مرفوضون» (١٦:١)، ويجبُ أن لا يَدخل المؤمنون معهم في مباحثات وخصومات ومنازعات «لأنها غير نافعة وباطلة» (٩:٣).

– في انتظار مجيء الرب على المؤمن أن يكون مستعدًا لكل عمل صالح (١:٣)، خاضعًا للرئاسات والسلاطين، متذكرًا دائمًا ان ما هو صالح فيه هو بنعمة الله التي تخلّصه (١١:٢)، لأن الرب يسوع هو «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويُطهِّر لنفسه شعبًا خاصًا غيورًا في أعمال حسنة» (١٤:٢).

محاضرة

في إطار الإحتفال بالذكرى الـ١٢٥ لتأسيسه وبرعاية سيادة متروبوليت بيروت وتوابعها المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام، يسرّ «مستشفى القديس جاورجيوس الجامعي» دعوتكم إلى محاضرة بعنوان **القديسون الأطباء العادمو الفضة** يلقيها سيادة الأسقف يوحنا يازجي رئيس دير البلمند وعميد معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، عند الساعة السادسة من مساء الجمعة ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٣ في قاعة البتلوني – مستشفى القديس جاورجيوس الجامعي.

دخول السيد إلى الهيكل

بمناسبة ذكرى دخول ربنا يسوع المسيح إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢ شباط ٢٠٠٣ في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية.

جعله مؤمنًا. إلى هذا الحدّ نشكّ برحمة الله. لا أحد يشك بأن السجين قد رُحم إذا رآه يتجوّل حرًّا في الساحات. هذا ما كان كلّ واحد يستطيع أن يراه في بولس. إنّ الرسول يقدّم نفسه برهانًا على كلامه ولا يخجل من أن يُسمّي نفسه خاطئًا، بل على العكس يشكر الله كثيرًا على ذلك إذ بهذه الطريقة يستطيع أن يكشف عن عظمة الله الكبيرة لأنه أُهِّل لمثل هذه الرحمة الجزيلة.

لكن كيف نستطيع من جهة ثانية أن نفهم قول الرسول عن نفسه في مكان آخر: «أمّا من جهة البرّ الذي في الناموس فكنتُ أعيش بلا لوم» (في ٦:٣)، في حين أنه يقول هنا: إني خاطئ، بل أنا أوّل الخطأة؟ هذا لأنه بالنسبة إلى البرّ الذي صنعه الله، أي البرّ الحقيقي المطلوب، كان الأبرار العائشون وفقًا للناموس، هم أيضًا خطأة. «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدُ الله» (رو ٢٣:٣). لذلك لم يقل مجرّد كلمة برّ بل قال: البرّ الذي من الناموس. كما أنّ من اكتسب أموالاً كثيرة يعدّ نفسه غنيًا، ولكنه يبقى فقيرًا جدًا مقارنة مع الكنوز الملكيّة، كذلك يبدو الناس خطأة، حتى ولو أصبحوا صدّيقين، إذا ما قورنوا بالملائكة.

القديس يوحنا الذهبي الفم